

متابعة

رسائل
صباية حنظلة

حنظلة يبحث عن أغنية

توجه حنظلة إلى «أبو مايكل المسيحي». سلم ودخل إلى محل بيع المشروبات الكحولية. عرف أبو مايكل طلب حنظلة اليومي: «ربعية عرق الصبر» وعلبة سجائر من ماركة «ويتينغ» وكيس ثلج صغير وبعض المكسرات الرخيصة. غادر حنظلة وهو في حيرته اليومية: أين سيشرّب اليوم؟ كل المخيم بأزقته لا يكفي، فالكل يعرفه وهو يعرف الكل. قرر الذهاب إلى زاوية نائية من المخيم حيث لا يسكن سوى اليوم والغربان في تلك الخرائب التي بنت «الوكالة» جزءاً منها. وفي الطريق مرّ بالأزقة التاريخية التي تحتضن البيوت. وهو يسير، سمع أم نصار العجوز التسعينية تترنم بأغنية جميلة اللحن: «يا عين كوني صبارة ع اللي أخذوه البحارة/حطوه بجوا المركب مثل الشبك والصنارة». وقف حنظلة قرب الشباك المغطى بالشبك السلكي لمنع دخول البعوض الذي يمر حتى من الزجاج بحسب خبرته. الحجة أم نصار بدأت تترنم أكثر بلحن حزين مسترسل: «يا محلا فتيل الهوى/ والنار شعلائي/ لون السفر لوني/ انت السفينة والبحر دمعي/ لون الحزن لوني».

وقع الأغنية على مسامع حنظلة كان صادماً أكثر من طعم العرق لأول وهلة؛ فعرق الصبر من أمر المشروبات في التاريخ، ترافقها لقايات التبع «ويتينغ» التي تربى بلغماً يعجز السعال عن تخفيف وطأته في الصدر. طرق الباب لسمع صوتاً أتاه من داخل البيت المنهالك: مين! أجب: «حنظلة ابن أبو صابر ذابق المر». الصوت ذاته: ادخل. حنظلة بعدما سلم ودخل: من كان يغني؟

أجاب نصار الجالس بقرب أمه يرتدي الفانيلة الداخلية ويضع في فمه لفاة تبغ من نوع «بيشت»: «الحجة».

حنظلة: شو هاي الأغنية؟

نصار: والله ما يعرف الحجة صار لها زمان بتغني فيها. حنظل: طيب، ما سألته؟

نصار: حتى لو سألته، هي مش معك.

حنظلة: وين يعني؟ ما هياها!

نصار: مسافرة في المكوت.

حنظلة وقد فهم أنها مصابة بمرض «الخرف»: طيب مين حافظ ها لأغنية؟ مين يعرفها؟

نصار: والله يا أبو الصابر ما حدا يعرفها غير الحجة.

وبدا حنظلة رحلة البحث المرير عن هذه الأغنية وأرسل إلى الجميع: «يا محلا فتيل الهوى والنار شعلائي/ لون السفر لوني/ انت السفينة والبحر دمعي/ لون الحزن لوني/ يا عين كوني صبارة ع اللي أخذوه البحارة/ حطوه بجوا المركب مثل الشبك والصنارة».

«من يعرف عنها شيئاً مشان الله دلوني. من أي مناطق من وطني؟ من الساحل ما هي؟».

عمان، معاذ عابد

رد من صباية

حنظلة يا حنظلة، مع كل مشروبات الصبر والترنح خلف الحيطان، يبقى هناك أمل في عودتنا. فنحن في اغترابنا القسري لم ننس من نكون ولن ننسى هذا أبداً، لأن عجوزاً ما زالت تغني ما حفظته في الوطن وأنت سمعته وسألت عنه، وأنا ساجيبك عنه. «يا عين كوني صبارة ع اللي أخذوه البحارة حطوه بوسط المركب مثل البحر والصنارة».

هذه الأزوجة الضاربة في القدم إلى ما قبل الاستعمار الإنكليزي والفرنسي لبلاد الشام

كانت تغني في ذكرى الشباب الفلسطيني الذين كانت القوات التركية العثمانية تأخذهم إلى معاركها خلف البحر

في ما كان يسمى «السفر برك». فكان الشباب يحملون من ميناء حيفا انطلاقاً إلى «إسطنبول» للزج بهم في حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. وقد عانى الكثير من سكان الساحل

الشرقي للبحر المتوسط من فلسطين ولبنان وجنوب سوريا من هذا الترحيل الذي كان يزرع مرارة في قلوب المرميين في السفن مثل الشبك والصنارة.

لكن المقطع التالي في هذه الأزوجة «يا محلا فتيل الهوى والنار شعلائي/ لون الحزن لوني/

أنتي السفينة ودمعي البحر/ لون السفر لوني» هو جوهر الحزن في هذه الأغاني والأهازيج.

عندما كان من يحالفه الحظ يفر من الخدمة الإجبارية العسكرية ويعود إلى فلسطين، كان يحدثهم عن الأحوال التي عاينوها. فبعد اقتيادهم إلى ميناء حيفا، كانوا يلقون بهم في بواطن السفن، وبعد أيام طويلة في بحر مظلم، كان صوت شاب يخرج من بين أكوام المخطوفين، المكوّمين في ظلمة سفينة تشق ظلمة البحر نحو المجهول، يتهدج

مختنقاً بعبيرات البكاء لتذكر محبوبته التي قد لا يراها أبداً بعد اليوم، بعد أن كان قد نوى أن يطلبها من أهلها ما إن يباع الموسم على البيدر، إثر مواسم الحصاد، تترأى له حبيبته وهو في غياهب الظلام فيغني... يا سباحة ببحر الهوى والنار شعلائي... لون الحزن لوني... فتبدأ عبرات من

بسمعه بالنزول حارة على الخدود الباردة وتزداد وتيرة الحزن في المقطع الثاني «أنتي السفينة ودمعي البحر... لون السفر لوني».

حنظلة، ذاكرة الشعب لا تموت... ولن تموت وستعرف إلى المزيد من تراثنا الذي لا يموت، بل يتجدد في انتظار ساعة بعث جديدة. في الوطن.

الأردن. ربي حسن

البارد: خطوات لتسريع إعمارها

فيما تتضاعل دروس فلسطين في مناهج غير معنيّة أكثر فأكثر بقضيّتها، بعضهم مقررات يدرسونها للطلاب من خارج المنهاج، ونصب أعينهم الخوف من أن تمحى فلسطين من عقول أولادها

عبد الكافي الصمد

وذلك بهدف إنهاء تصاميم الرزمة الرابعة في أقرب وقت، في موازاة دعوة الأهالي إلى لقاء يوم السبت المقبل في مقر الهيئة داخل المخيم، لإطلاعهم على الخرائط والتصاميم، تمهيداً لتسليمها إلى المعهد قبل مباشرته العمل فيها. في غضون ذلك، أعلنت الأونروا أنها ستجتمع مع اللجنة الشعبية والمؤسسات المحلية قبل ظهر اليوم الاثنين في مكاتبها في المخيم، من أجل تقديم شرح حول مسح الفقر الذي سيجريه قسم الشؤون الاجتماعية في كل لبنان، وهو مسح شامل سيأخذ في الاعتبار جميع العوامل المحتملة التي يمكن

في خطوة تهدف إلى تفعيل العمل وتقديمه في مجال تسريع إعادة إعمار مخيم نهر البارد، اتخذت الشركة المتعهددة المشروع (الجهاد للبناء) خطوات لتعويض التأخير الذي حصل في الفترات الماضية، من خلال تأكيدها وفق بيان أصدرته الأونروا على «دفع أجور العمل الإضافي للعمال، وزيادة الأجور وتشغيل ورش عمال إضافية في مشروع الإعمار».

هذه الخطوات التي تتابعها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، الأونروا، جاءت في موازاة عقدها اجتماعات دورية مع الشركة المتعهددة لتسليم الرزمة الأولى من أصل 8 رزم يتكوّن منها المخيم وفق خطة إعادة إعمارها، نهاية السنة الجارية وفق الموعد المحدد. كما ظهر أثر هذا التنسيق والتعاون أيضاً من خلال مباشرة العمل ببناء الطبقة الرابعة في إحدى بلوكات الرزمة الأولى، وهي الطبقة الأخيرة من البناء حسب الخرائط.

وفيما ينتظر بدء الأشغال في الرزمة الثانية موافقة وزارة الثقافة على ذلك، بعد موافقتها المسبقة على عملية طمر آثار مدينة أرتوزيا الرومانية التي اكتشفت في موقع الإعمار، عاود فريق التصاميم التابع لقسم الهندسة في الأونروا إلى التعاون مرة جديدة مع «هيئة العمل الأهلي لإعادة إعمار مخيم نهر البارد»، بعد توقف امتد لأشهر، بسبب اللغظ الذي دار حول عمل الهيئة في السابق، واحتجاج الأهالي على موافقتها على تصاميم الخرائط ومساحات البيوت،

اعتصام

اعتصم عدد من أهالي البارد والبدواي أمس بدعوة من لجنة نازحي مخيم البارد أمام مكتب الأونروا في البداوي ووجهوا مذكرة للمدير العام للأونروا سلفاتوريو لومباردو، طالبوه من خلالها بالضغط على الحكومة اللبنانية لإقرار الحقوق الإنسانية وتخفيف الإجراءات الأمنية المتبعة وتحسين خدمات الإغاثة والصحة.

كذلك، دعت المذكرة إلى توفير الأموال اللازمة لإعادة إعمار البارد ودفن التعويضات لأهالي المخيم ورفع قيمة بدل الإيجار لتتناسب مع غلاء المعيشة وإيجارات الشقق السكنية.



أهالي من البارد يتفرون على رفع انقاضه (أرييف)

كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟ أما الفلسطينيون فقد ثلمت الأيام سيوفهم، ولم يكفوا عن «قرع جدران الخربان» كما أوصاهم كنفاني لمواجهة زمن آخر من أزمنة أبو الخيزران. يخرجون على الناس شاهرين أقلامهم وكمنجاتهم. يستلون العدسات ويصوبونها باتجاه منصة «الجلاد» العالية المحاطة بجموع جماهير الفرجة.

من هناك، من الجنوب حيث بلادهم، تأتي طائرات تستطلع المنصة. تشارك في مسرحية فاشلة. تنطلق قنابل ذكية قاصفة المشهد التحتي إن انتابه خلل، كخجل الجلاد في الإمعان باستخفاف العقل.

أيها السادة، إننا أمام مشهد يجتّر نفسه: غرباء يجمعهم بغرباء الوجع ذاته، فما العلاقة بين قانا ودير ياسين؟ وما العلاقة بين الناصرة وبيت لحم وبيروت؟

لا شيء إلا «طوبى للغرباء»!

* كاتب فلسطيني